

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه والتابعين ، وبعد:

فإنَّ الحَجَرَ في اللغة هو المنعُ ، وقد ذكر لي فضيلة شيخِي الدكتور/ عبد الله الحكمة - أن بين اسمها ومضمونها تناسبٌ فحاولتُ قراءة أوجه تناسب هذا اللفظ ومعناه مع بعض مضمون السورة ، وحاولتُ الوقوفَ على بعض ذلك في هذه النَّقاط:

• افتتحَ اللهُ هذه السورة بالحروف المقطعة التي يُحجَرُ بها على عقول المعاندين المكذبين فيمنعهم العجزُ عن معارضة كتاب الله ومشابته رغم تألّفه من هذه الحروف التي بها يتكلمون ، ومع ذلك لا يأتون بمثله ولو ظاهرهم من بأقطارها.

• وفي صدر السورة وصف الله القرآنَ بأنه مبيّنٌ ، وهذا صريحٌ في أن من تبع القرآنَ واهتدى به فإنه يمنعهُ من أن يضلَّ أو يحتارَ أو تشبهَ عليه الأمور بفضل هذه الإبانة والإيضاح التي تلازمُ كتاب الله.

• الأملُ واللهُوُ واللعبُ هي عواملُ منعِ بناء النفس وزيادة الإيمان وإدراك الحقائق ، فهي جماعُ أسباب الغفلة وغياب الوعي (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل).

• من عدل الله تعالى أن يمنع عقوبته ومؤاخذته وإهلاكه للعصاة حتى يستكملوا آجالهم (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم * ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون)

• أن إفلاس الكفار والعجز عن المواجهة بالحجة والبرهان مما منعهم من الإذعان للحق حيث اضطرتهم إلى إساءة الأدب في خطاب رسول الله بأسلوبٍ غايةٍ في الصفاقة وعدم الحياء قائلين (يا أيها الذي نُزل عليه الذكرُ إنك لمجنون).

• امتناع إمهال الله تعالى في حق من نزلت عليه ملائكةُ الله بعذاب (ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين)

• منع الاشتباه في أن يكون في القرآن حرفٌ من عند غير الله (إنا نحن نزلنا الذكر).

• منع الله تعالى من أن يتطرق التبديل والتحريف إلى الكتاب الكريم (وإننا له لحافظون).

• منع اليأس والحزن من استيطان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب تكذيب قومه ، وذلك بتسليته وتذكيره بإخوته السابقين من رسل الله (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين).

• أن من ختم الله على قلبه وأراد فتنته فلن يؤثر فيه حرق العادات الكونية فضلاً عن آيات القرآن ونذره (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون.....).

• أن السحر يحجر على عقل المسحور فيؤثر في غياب الحسّ والوعي كما يؤثر سدّ البصر وتغشيته في غياب المحسوسات ، ولذلك قرن الله بينهما (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون).

• أن سعة علم الله وإحاطته بكل شيء تمنع من أن يخفى عليه أمرٌ مما كان وما يكون وما هو كائنٌ ، بل وما لم يكن فإن الله يعلم لو كان كيف يكون ومن هذا الأخير (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء...).

• أن الله منع الشياطين من استراق السمع من السماء (وحفظناها من كل شيطان).

• أن من سمعَ بعضَ أخبارِ السماءِ من الشياطينِ سيمنعهُ الشهابُ الذي يرسلُ عليه من الإخبارِ بما سمعَ إذ لا يخلو من الموتِ به أو اختلالِ حفظه لما استرق.

• امتناعُ القدرةِ على رزقِ المخلوقاتِ إلا في حقِ الله تعالى (ومن لستم له برازقين) ولذلك لم يجرؤ أحدٌ ممن ادعى الربوبية في قديمٍ أو حديثٍ على زعمِ ذلك.

• أن اعتقادَ المرءِ امتلاءَ خزائنِ الله بكلِ مرغوبٍ يمنعه من استمناحِ أحدٍ أو ابتدائه بالسؤالِ قبلَ الله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه).

• امتناعُ دوامِ الحياةِ المطلقِ على غيرِ الله فكل شيء يهلك إلا هو (وإنا لنحنُ الوارثون).

• تأخيرُ المؤاخذةِ ومنعُ وقوعها قبل بيانِ الحجةِ وانتفاءِ العذرِ عن العاصي ، لأنَّ الله سألَ إبليسَ وهو سبحانه أعلمُ ، ولكنه أصرَّ العقوبة حتى قال إبليس (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ).

• العاداتُ والموروثاتُ إذا أشربها المرءُ تحجُرُ العقلَ عن الرضا والتسليمِ بأمرِ الله (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصالٍ من حمإٍ مسنون).

• الامتناعُ عن الاعتداد بالمخالف الذي لا وجه لخلافه ، لأنَّ الله تعالى قال (إلى يوم الوقت المعلوم) مع أن من الخلق من ينكر البعثَ ، فلما لم يكن لخلافهم أثرٌ أهمل ولم يعتدَّ به .

• الجنةُ دارُ السلامة والسلام ممنوعٌ منها من كانت به شائبةٌ من معصيةٍ حتى يطهَّر منها بالمغفرة أو النار (ادخلوها بسلام آمين)

• الأمنُ والسلامةُ ركنا السعادة والهناء ، ووجودُ أحدهما دون الآخر يحولُ دون اكتمال النعيم ، ولذلك جمع الله بينهما للجنة ، وجعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم ثلثي حيازة الدنيا .

• غرابةُ أخلاقِ الضيف وامتناعُهُ عن طعام المضيف مما يمنعُ طمأنينتهُ واستئناسهُ بالضيف (قال إنا منكم وجلون) وفي غير هذه السورة فصل سبب وجله بقوله سبحانه (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم..).

• الضلالُ هو أكبرُ وأعظمُ الموانع من رجاء رحمة الله (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون).

• من هداية القرآن تعليمه لنا الامتناع عن مباشرة ذوي الهيئات بوصف النقص ،
ولذلك قالت الملائكة (فلا تكن من القانطين) ولم يقولوا لا تكن قانطاً ، وفي غير هذه
السورة قال الله لنبيه نوح (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) ولم يقل ولا تكونن
جاهلاً وقال (يعلمون أنه مثل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين).

• منعُ الله تبارك وتعالى لحسَّ الفاجر المعاقب الذي طبع على قلبه من التيقظ
وإدراك خطر ما سيحل به - استدراجاً له - فإنَّ قوم لوط حين رأوا الملائكة لم يخطر
لهم غيرُ الفاحشة وصرحوا بذلك (وجاء أهلُ المدينة يستبشرون).

• الكفرُ أغلظُ الموانع من الاتعاظ بمصارع الهالكين (إن في ذلك لآيةً للمؤمنين).

• امتناعُ صحة الإيمان على من كذب بأي رسول من رسل الله ، وذلك أنَّ أصحاب
الأيكة كذبوا صالحاً وحده ، ومع ذلك أنزلهم الله تعالى منزلة المكذبين بجميع رسل الله
ويؤكد ذلك قول الله عن المؤمنين (لا نفرق بين أحد من رسله).

• منعُ الإعراض والجحود من التسليم للمعجزات فناقة صالح خرجت من الصخرة
وكثر لبنها عند خروجها وعظم حجمها عن حجم النوق المعروف ومع ذلك قال الله
(فكانوا عنها معرضين).

• توجيه الله تعالى لحامل القرآن بالامتناع عن النظر إلى الدنيا وأهلها واعتقاد أن غيره أوتي خيراً منه لئلاَّ يجهل حقيقة الحال فلا يقدر نعمة الله قدرها ، لأنَّ الله حين امتنَّ على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن أعقب ذلك بـ (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به...) ولذلك فسر بعض أهل العلم قوله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) بـ (يستغني به).

• منعُ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين وحمائتهُ له من مكرهم (إنا كفيناك المستهزئين).

• منعُ طبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم البشرية في تأثره بقبل المشركين من إحقاق باطل الغلاة من المبتدعة الذين يتزلونه منزلة الرب (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك..)

• أنَّ التسييحَ والصلاةَ أعظمَ مانعٍ من الكآبة والضيق والحزن ، وهي أجلُّ ما تتنفس به الكروب لأنَّ الله لما علم بتأثر النبي صلى الله عليه وسلم أرشدهُ إلى طريق التنفيس (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين).

• منعُ جواز انقطاع أي مكلف عن عبادة الله حتى يموتَ خلافاً لما يزعمه بعضُ الجهلة من سقوط التكليف عن بلغ منزلة اليقين كما يحسبون ، فإنَّ الله أمر أتقى خلقه له وأحبهم إليه وأعظمهم زلفى لديه بالاستمرار في العبادة حتى الموت ، ونشهد أن لا

إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله عبده حتى أتاه اليقين وهو يغرغر ويوجهنا
بقوله (الصلاة الصلاة) حتى ما يفيض بها لسانه.

أزكى صلاة على خير الورى خُلُقاً * * وخلقاً ومناجاةً للطهر للرائي

وآله العر ما حنت مطوقة * * على الأراكاة في ظل وأفياء